

مجلة جامعة دنقلا للبحث العلمي العدد السادس عشر يناير - 2019م

رقم: 716X - 1856 ISSN

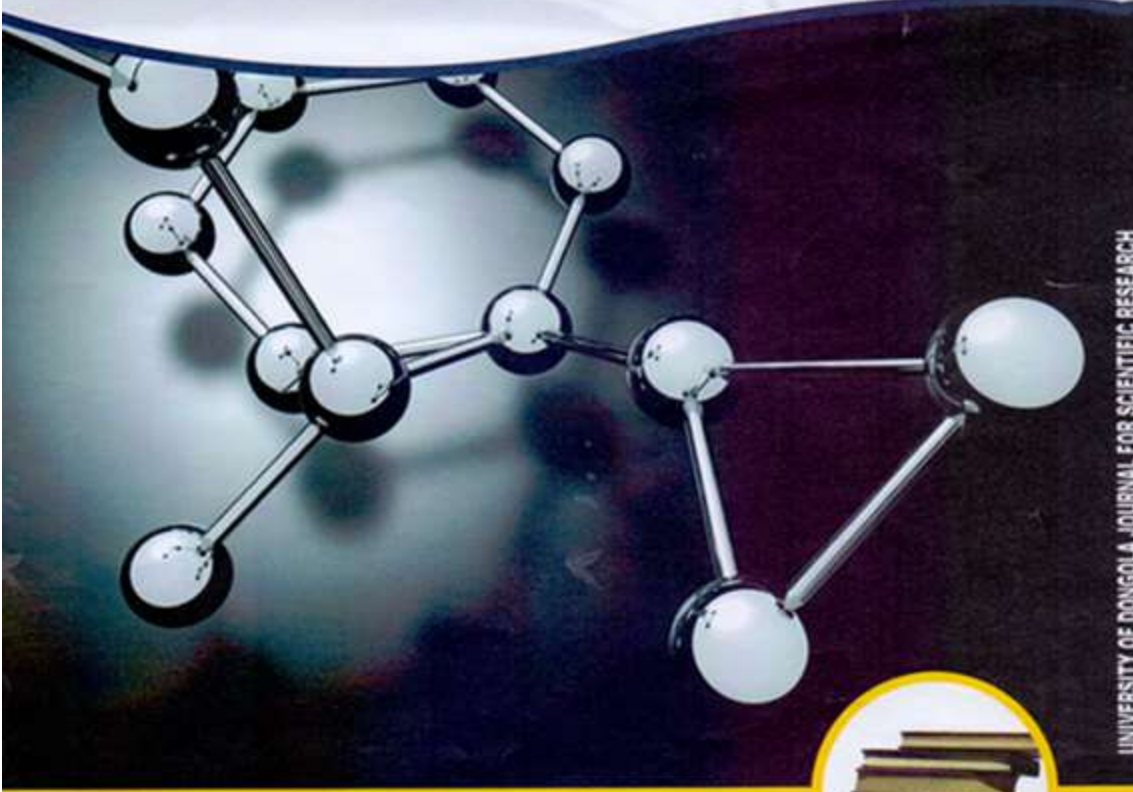


مجلة جامعة دنقلا للبحث العلمي



مجلة علمية دورية محكمة تصدرها كلية الدراسات العليا بجامعة دنقلا

مجلة جامعة دنقلا للبحث العلمي



UNIVERSITY OF DONGOLA, JOURNAL FOR SCIENTIFIC RESEARCH

السنة التاسعة العدد السادس عشر يناير ٢٠١٩م



V
O
L
16

د. محمد عبد الحليم

مجلة جامعة دنقلا للبحث العلمي

مجلة دورية علمية محكمة

تصدر عن كلية الدراسات العليا - جامعة دنقلا

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عمر حسن أحمد عربي

رئيس هيئة التحرير

د. عمر بشارة أحمد بشارة

نائب رئيس هيئة التحرير

د. عبد الوهاب شمت محمد أحمد

هيئة التحرير

أ.د. الزهور حسن الماهل

د. حاج شريف محمد حسين ابن عوف

أ. مجاهد حامد محمود محمد صالح

سكرتير هيئة التحرير

أ. عثمان محمد أحمد الأغيش

مستشارو التحرير

أ.د حسن علي الساعوري

أ.د محمود حسن أحمد

أ.د محمد عثمان أحمد أبو جارة

أ.د سعد الدين إبراهيم محمد عزالدين

أ.د كباشي حسين قسيمة

أ.د سامي محمد ظمبل صالح

أ.د عباس سيد أحمد زروق

أ.د. محجوب محمد أدم

مجلة جامعة دنقلا للبحث العلمي

مجلة نصف سنوية علمية محكمة

تصدر عن كلية الدراسات العليا - جامعة دنقلا

دنقلا - السودان

مجلة جامعة دنقلا للبحث العلمي مجلة تصدر عن كلية الدراسات العليا بجامعة دنقلا، وهي مجلة نصف سنوية علمية محكمة، تسهم في توسيع دائرة العلم والمعرفة، وذلك من خلال نشر البحوث والأوراق العلمية، التي تتوافر فيها الأصالة والمنهجية والفائدة العلمية ووفق هذه الرؤية ترحب المجلة بإسهامات الأساتذة الباحثين من داخل وخارج الجامعة والتي تتوفر فيها كل أساسيات البحث العلمي، شريطة أن لا تكون الإسهامات قد نشرت من قبل أو تحت إجراء النشر في أي مجلة أخرى.

قواعد النشر:

- ❖ ترحب المجلة بالبحوث في ثلاث نسخ مطبوعة علي وجه واحد على ورق A4 بفراغات مزدوجة وهوامش 2.5 سم، على أن لا يزيد حجم البحث عن أربعين صفحة شاملة الملخصين والموضوع والمراجع والملاحق. ويكون حجم الحرف (14) وترقم الصفحات في الأسفل على الجانب الأيسر بشكل متسلسل.
- ❖ يجب أن يحتوي البحث على ملخص بحدود (10) أسطر باللغة الأصلية للبحث (عربي، الإنجليزية). بالإضافة إلى ملخص وافٍ باللغة الإنجليزية إذا كان البحث مكتوباً باللغة العربية، وملخص وافٍ باللغة العربية إذا كان البحث مكتوباً باللغة الإنجليزية.
- ❖ يكتب في بداية البحث: عنوان البحث، واسم الباحث، القسم، الكلية، الجامعة، المدينة، البلد، والكلمات المفتاحية **Keywords** باللغتين العربية والإنجليزية.
- ❖ يجب أن تتبع الطريقة العلمية المثلى لعرض البحث أو الورقة من حيث الخلاصة ومناهج ووسائل البحث، وعرض الموضوع وتحليله، والنتائج التي تم التوصل إليها، والتوصيات المقدمة، وقائمة المراجع وفق المنهج المتبع.
- ❖ يجب أن يراعى ترقيم الجداول والأشكال والرسومات والصور المرسومة بالحبر الأسود، مع الإيضاح المقابل لكل، على أن تكون واضحة عند إعادة إنتاجها.
- ❖ تخضع البحوث المقدّمة للنشر، للتقويم من قبل مختصين في موضوع البحث.
- ❖ في حالة البحوث والأوراق المستقلة، يجب توضيح الدرجة التي منحت للرسالة وزمانها، والجامعة التي قدمت لها، واللجنة التي قومتها.

- ❖ بعد التحكيم يطلب من الباحث تسليم البحث في قرص مدمج (CD).
- ❖ يحق لهيئة التحرير إجراء التغييرات التي تراها ضرورية لأغراض الصياغة أو تصويب الأخطاء النحوية، أو الترقيم.
- ❖ يرجى من الباحثين إرفاق سيرتهم الذاتية.
- ❖ يحق لمن ينشر له بحث في المجلة نسختين من العدد المعني.
- ❖ المجلة غير ملزمة برد الأوراق التي لم يتم اعتمادها للنشر، وترسل إفادة بعدم النشر للكاتب.
- ❖ ترسل الأوراق إلى المجلة على العنوان التالي:

مجلة جامعة دنقلا للبحث العلمي

هيئة التحرير

كلية الدراسات العليا

جامعة دنقلا - ص ب: 47

دنقلا - السودان

تلفون 0241 825947 فاكس 0241 825946

البريد الإلكتروني hstudies.du@gmail.com

موقع المجلة على الإنترنت: <http://www.uofd.edu>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على افضل خلق الله أجمعين سيدنا محمد وعلى أهله وصحبه أجمعين اسمحوا لي في البداية أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير للسادة الناشرين بهذا العدد والذي نأمل أن يكون قد استصحب في معينته كل ما كان يريجه السادة الناشرين من اختيار موفق للأوراق العلمية ونلتمس العذر للأخريين الذين لم يتم نشر أوراقهم العلمية لضيق وحدود عدد الصفحات المخصص للنشر إلا أننا حريصين كل الحرص على أن نعطي المساحة الكاملة والمقدرة لكل الأوراق العلمية وناكد أن سلسلة النشر لم تتوقف مهما كانت الصعوبات وملتزمين بالتميز والميعاد.

أعزائي الناشررون نجدد العهد بكم وبمساهماتكم الثرة، والتي أصبحت مشاهدة ومتاحة للكثيرين حول العالم، وذلك واضح من خلال المراسلات والاتصالات اللامحدودة التي تردنا إلينا عبر وسائل الاتصال المختلفة للاستفسار والاستعلام عن أبحاثكم العلمية والتي شاركت في ظهور العديد من الأبحاث الأخرى، وهذا يؤكد لنا ولكم المدى الكبير الذي وصل إليه انتشار المجلة في مختلف بقاء العالم.

الشكر كل الشكر للأخوة الأفاضل في هيئة التحرير والسادة مستشاري هيئة التحرير والأخوة أعضاء هيئة التدريس من داخل وخارج الجامعة على المثابرة وقوة التحمل والشعور بالمسئولية وفقنا الله وإياكم لما فيه مصلحة البلاد والعباد.

رئيس هيئة التحرير

الفهرس

رقم الصفحة	عنوان البحث	الباحث / الباحثون
1	دور المراجعة الداخلية في الحد من فجوة التوقعات في المراجعة (دراسة حالة ديوان المراجعة الداخلية - ولاية نهر النيل)	د. أبوبكر عثمان محمد عثمان
22	قراءة جديدة لآراء الإمام الغزالي التربوية في ضوء الواقع المعاصر	د. هاشم عبد القادر البخيت أ.د. النور عبد الرحمن محمد خير
41	تدريس قانون الإنترنت في كليات القانون بالجامعات السودانية الأهداف- المعوقات- الرؤى المستقبلية	د. عزة علي محمد الحسن
57	تقييم التنمية بالقسم الجنوبي بمشروع الرهد الزراعي	د. إشراقه عثمان محمد عثمان
76	التخطيط باستخدام بطاقة الأداء المتوازن وأثره على تعزيز الميزة التنافسية في المصارف السودانية	وجدي وقبع الله الطيب وقبع الله أ.د. إبراهيم فضل المولي البشير الشكري
118	المشاريع السياحية بالولاية الشمالية - الحاضر والمستقبل	د. عبد الفتاح عبد العزيز محمد ابراهيم
149	مقومات وإمكانات صناعة السياحة في السودان	د. علي محجوب عطا المنان
183	دلالة الفعل (كاد) منفياً	أ. أحمد سعيد عنيزات
204	القضايا الاجتماعية في القصة الشعرية عند جميل الزهاوي	د. مرتضى بابكر أحمد عباس
214	التربية ودورها في التغيير الاجتماعي والثقافي	د. الرشيد حبوب محمد الحسين
232	تحقيق مقاصد الشريعة في التيسير و رفع الحرج من خلال قواعد الاغتفار دراسة تأصيلية تطبيقية	د. فهد عبد الله علي هاجر
268	The effect of some medicinal and aromatic plant residues on wilt and/ or root rot disease complex incidence and mortality of chickpea (<i>Cicer arietinum</i>) Plants grown in pots in greenhouse.	Mohammed Ahmed Yousif Moh., Elamin Ismael Hag Elamin & Salaheldin Ali Osman
274	Problems That Encounter Undergraduate Students in writing A research Paper (A case study of Gazira University)	Tahiya Alshaikh Alhameem Yousif
292	Comparing data results of locally manufactured Proctor apparatus with standard one obtained from the Northern State, Sudan	Yasir Hassan Satti
301	Studies on the effects of some insecticides (carbosulfan and thiamethoxam) for the control of potato insect pests	Daffalla E. Yousof & Ismail Siddig

التربية ودورها في التغيير الاجتماعي والثقافي

د. الرشيد حبوب محمد الحسين

الأستاذ المشارك بكلية التربية/ جامعة الخرطوم

مستخلص

هدفت الدراسة إلي التوصل إلي الإجابة عن السؤال الرئيس: ما دور التربية في التغيير الاجتماعي والثقافي؟ لهذا الغرض استخدم الباحث المنهج العلمي الوصفي الوثائقي المعتمد علي جمع البيانات من خلال مراجعة اكبر قدر من الأدب التربوي المتعلق بموضوع الدراسة، وتحليل آراء وأفكار الخبراء والمفكرين والباحثين التربويين والاجتماعيين حول الموضوع ، ومن ثم تصنيف تلك البيانات وتحليلها والخروج منها بإجابات عن سؤال الدراسة الرئيس . من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: تأصيل وتنمية القيم والاتجاهات في المؤسسات التربوية هو الذي المفيد من التغيير الاجتماعي والثقافي. إن التغيير الجذري السريع في الحياة العصرية يحتم علي مؤسسات التربية تكوين الأنسان ذي العقلية الشاملة ليستوعب التغيير ويوظفه في واقع الحياة . التفكير الإبداعي بدلاً من التفكير التقليدي هو الذي يستجيب للواقع ويغيره بما يتلاءم مع حياة الناس في واقع آخر أحسن وأفضل .طلب التغيير لا يعني التنكر للتراث الحضاري بل يعني تطويره وترقيته من خلال سد الثغرات الموجودة فيه، و هذا لا يتم إلا بالتكامل الواعي بين الأصالة والمعاصرة .

Abstract

The study aims at answering the main question of the study : What is the role of education in social and cultural change?

For that purpose, the scientific descriptive documentary method was used and based on collecting the required data by reviewing a great deal of the available educational literature on the topic of the study, beside analyzing various views and opinions of educational and social experts, thinkers and researchers on the topic under study, and hence, the data will be classified and analyzed in a way that helps in deducing the relevant answers to the study main question.

The study has finally reached the following main results: inculcating and developing values and attitudes in educational establishments generate effective and useful social and cultural change. The rapid and radical changes in modern life necessitate that educational establishment must be concerned with building individuals with comprehensive mentality in order to comprehend and function in real life. Creative thinking is the only way that fits realities of the society, and therefore can change it for the better. Asking for change doesn't mean the denial of cultural heritage; it means its development and excellence by bridging the gaps there are,

and this will not be possible except through striking equilibrium and balance between convention and modernization.

مقدمة:

التغير سمة ملازمة لحياة الفرد والجماعة عبر السنين والقرون التي خلت. تنمو الثقافات البشرية وتتطور عبر الزمان، وإن اختلفت في وقع ونمط سرعة نموها وتطورها، كما أنها تتعقد حيناً بعد حين نتيجة لأسباب وعوامل مختلفة تتسم بالبطء والتعقيد، فمنها ما هو داخل في صميم الثقافة ومنها ما هو خارجها.

التغير الاجتماعي والثقافي الذي يطراً على حياة الجماعات، سريعاً كان أم بطيئاً هو الذي يميز المجتمعات كل المجتمعات في الأزمنة القديمة والحديثة على حد سواء، فالمجتمعات البشرية في كافة مناحي حياتها السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية والدينية لقد تغيرت فيما يخص نمو العلوم فيها وظهور الفلسفات الأخرى والرؤى المختلفة في أشكال جديدة مختلفة، حتى الحروب التي نشبت في التاريخ اتخذت أشكالاً مختلفة. لقد تغيرت المجتمعات في عاداتها وتقاليدها وفي طريقة استمتاعها، وفي نوع الحكم الذي ترتضيه لنفسها، وفي أيديولوجياتها وفي محاولة التحكم في مصائرنا وفي مقدارها.

انطلاقاً من هذه الحقيقة، فالتربية يجب أن ينظر إليها باعتبارها عملية مهمة لإحداث التكيف والتناغم بين الفرد وبيئته الاجتماعية والطبيعية التي يعيش فيها، البيئة التي تتسم بالتغير والتجديد المضطرب في جميع النواحي. في ضوء هذه المعطيات، فإن عمليات التغير تقابل دائماً بحذر شديد في الدوائر والأوساط التربوية، ونسبة لأن السرعة والشمول هي من سمات التغيير الرئيس في زماننا الراهن، فإن معظم العلماء في كافة المجالات العلمية يؤكدون على حقيقة أنه لا ثبات أبدي أو سرمدي في الحياة الاجتماعية، ثم إن من طبيعة التغيير الانتشار السريع والتأثير في كافة جوانب الحياة الأخرى.

عمليات التغير مهما كانت حدتها وقوتها لا تقابل دائماً بالقبول، بل بالعكس فقد تكون ردة الفعل من الجماعة أكثر رفضاً ومعارضة إلى درجة تصل فيها المواجهة والرفض إلى درجات من الصراع العنيف. ففي معظم الأحوال التي تعترضها حالات التغير ينشب الصراع وتحتدم المواجهة بين القديم والجديد من الأوضاع إلى أن تستقر الحالة الجديدة سواء أكانت معدلة أو معاكسة للحالة الاجتماعية أو الثقافية القديمة. هذا ما ذهب إليه (ناصر، 1986م، ص 138) بقوله (وتعتبر نقطة البداية في عملية التغير في أي مجتمع ينظر إلى عملية التغيير في أي مظهر من مظاهر الحياة، وكأنها عملية تحدي للقيم والعرف والعادة المتبعة فتقابل بالرضا أو الرفض أو المعارضة).

مشكلة الدراسة و تساؤلاتها:

في هذا الإطار تتمثل مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس: كيف يتسنى للتربية - في مؤسساتها المختلفة - أحداث التغيير الاجتماعي و الثقافي الإيجابي في المجتمع القائم الذي تخدمه؟
من هذا السؤال الرئيس تنفرع الأسئلة الفرعية التالية :

- 1- ما مفهوم التغيير الاجتماعي والثقافي؟
- 1- ما أنواع التغيير الاجتماعي والثقافي ؟
- 3- ما مراحل التغيير الاجتماعي والثقافي ؟
- 4- ما نظريات التغيير الاجتماعي والثقافي ؟
- 5- ما عوامل التغيير الاجتماعي والثقافي ؟
- 6- ما مظاهر التغيير الاجتماعي والثقافي ؟
- 7- ما دور التربية في التغيير والتغير الاجتماعي والثقافي ؟

أهداف الدراسة :

في اطار السعي لإيجاد الإجابة الكافية لهذا التساؤل فان الدراسة هدفت إلي تعرف الموضوعات التالية:

- 1- مفهوم التغيير الاجتماعي والثقافي.
- 2- أنواع التغيير الاجتماعي والثقافي.
- 3- مراحل التغيير الاجتماعي و الثقافي.
- 4- نظريات التغيير الاجتماعي والثقافي.
- 5- عوامل التغيير الاجتماعي والثقافي.
- 6- مظاهر التغيير الاجتماعي والثقافي.
- 7- التربية ودورها في التغيير والتغير الاجتماعي والثقافي .

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أنها تحاول الربط بين عمليات التربية في مؤسساتها المختلفة وما يصاحبها من تغييرات اجتماعية وثقافية في المجتمع، باعتبار التربية عملية مهمة لأحداث التكيف والتناغم والتوازن بين الفرد و بيئته الاجتماعية والطبيعية التي يعيش فيها.

منهجية الدراسة:

الدراسة ذات طبيعة نظرية تحليلية تقوم علي جمع البيانات من خلال الرجوع إلى أكبر قدر من الأدبيات التربوية ذات الصلة بموضوع الدراسة مع التحليل لآراء الخبراء المفكرين والباحثين التربويين والاجتماعيين حول الموضوع، ومن ثم تصنيف تلك المعلومات وتحليلها والخروج منها بإجابة عن سؤال الدراسة الرئيس مفهوم التغيير الاجتماعي والثقافي:

التغير الاجتماعي - أيًا كانت قوته ومظهره - ما هو إلا "الاختلاف عن أنماط الحياة المقبولة سواء أكان هذا الاختلاف راجعاً إلى التغير في الظروف الجغرافية أو في الإمكانيات الثقافية أو تكوين السكان أو في الأيديولوجية أو نتيجة الانتشار أو الاختراع داخل الجماعة. وبذلك يتضمن هذا التغير الاجتماعي كل ما يحقق حاجات الفرد في الجماعات، ويتضمن أيضاً طريقة الحياة والأيديولوجيات والعقائد الدينية والطرق المختلفة لتنظيم الحياة العائلية وطرق تربية الأطفال، والعلاقات المختلفة بين أفراد المجتمع وبينهم وبين غيرهم من الثقافات الأخرى، ويتضمن أيضاً الطرق الفنية لزراعة الأرض والصيد ولبناء المنازل وللمحافظة على المحاصيل المختلفة والانتفاع بالحيوانات، وطرق حماية الإنسان من المرض، ويتضمن التغير الاجتماعي أيضاً التغير في الأيديولوجيات، والأيديولوجية هي نظام المعتقدات والتقاليد والنظريات السائدة في المجتمع والتي لها علاقة بسلوك الأفراد فيه. ويتضمن (ذلك) أن التغيرات الاجتماعية قد تكون نتيجة لانتشار عوامل ثقافية من ثقافة أخرى، واختراع طرق جديدة للحياة من داخل الجماعة" (1).

التغير الثقافي من جهة أخرى، يتصل بالتغير الذي يطرأ على ثقافة المجتمع. فالثقافة هي كل ما صنعه يد الإنسان وعقله من أشياء ومن مظاهر في البيئة الاجتماعية، أي كل ما اخترعه الإنسان أو ما اكتشفه وكان له دور في العملية الاجتماعية (2). بهذا المعنى فإن الثقافة تشمل اللغة والعادات والتقاليد والمؤسسات الاجتماعية والمستويات والمفاهيم والأفكار إلى غير ذلك مما هو في البيئة الاجتماعية من صنع الإنسان.

كما أن الثقافة في أي مجتمع تأخذ معناها من طبيعة السلوك الذي يتعلمه الأفراد عن طريق التربية. إلى هذا المعنى رعى كلكهون Klukholn عندما عرّف الثقافة بأنها "وسائل الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر التاريخ، السافر منها والمتضمن، العقلي واللاعقلي، التي توجد في وقت معين والتي تكون وسائل إرشاد توجه سلوك الأفراد الإنسانيين في المجتمع" (3).

وفي حدود هذا المفهوم للثقافة، فالتغير الثقافي يعني أن الثقافة بكل عناصرها تتغير وتتحرك على شكل استجابات لحاجات الإنسان وإرادته، إما لعوامل داخلية كالاكتشافات والاختراعات أو سيكولوجية متصل بالشخصية الإنسانية، أو لعوامل خارجية تأخذ شكل الانتشار والارتشاح الثقافي المتمثل في تحرك عنصر مادي من مجتمع لآخر أو داخل المجتمع نفسه.

أنواع التغير:

هناك نوعان رئيسان من التغير وهما التغير الفجائي (التغير الثوري أو الطفرة)، والتغير

التدريجي (التطوري).

1 - التغير الفجائي:

هو ذلك النوع من التغيرات التي تحدث فجأة وبدون مقدمات، أو إرهاصات واضحة. في مجال السياسة مثلاً هو الشيء الذي ينعكس بصفة واضحة وجليه في تحولات سياسية كبرى مؤثرة. هذا النوع من التغيرات - إن كان اجتماعياً أو سياسياً- لاشك يؤدي إلى نتائج إيجابية ملموسة أو نتائج سالبة يعتمد إلى حد كبير في حجم آثاره على طبيعة كل من المتغير والمغير. في المقابل ينعكس هذا التغير على كافة مناحي التربية ومؤسساتها بما في ذلك مناهجها ومصطلحاتها وفلسفتها وأهدافها وطرائقها، الشيء الذي ينعكس بصفه واضحة في ميول واتجاهات النشء وتكوينهم العقلي والوجداني والعاطفي وغيره، كما يعتبر هذا التغير السريع سمة من سمات الأمم المتقدمة والذي ينعكس في مظاهر حياتها الاجتماعية والفكرية والعلمية ومخترعاتها وابتكارها الحديثة. المجتمعات الأوروبية والغربية يمكن اعتبارها مجتمعات تتقبل وتستوعب مثل هذه الأنماط السريعة من التغير.

2 - التغير التدريجي:

هو ذلك النوع من التغير الاجتماعي الذي يستغرق حدوثه وقتاً أطول نسبياً، كما يظهر بصفة متدرجة. تنطبق ظاهرة التغير هذه على كل من النبات والحيوان بالإضافة إلى التغيرات في المظاهر الاجتماعية والإنسانية. على سبيل المثال، الإنسان ينمو نمواً متدرجاً من الناحية الجسمية، العقلية، العاطفية والنفسية ..إلخ.

يتسم التغير التدريجي بالبطء، الشديد الذي لا يمكن ملاحظته، كما هو الحال في التطور الحضاري للشعوب، كما أنه يتصف أيضاً بصفة المرحلة التي تتخذ شكل التراكمات الجزئية في مساحات زمنية طويلة، مما ينتج عنه تغير كمي ونوعي واضح.

مراحل التغير:

باستقراء التاريخ، يمكن الخروج بحقيقة مفادها أن التغيرات المختلفة التي طرأت على حياة الأمم والشعوب عبر العصور لم تظهر آثارها على نمط وطبيعة الحياة للجماعات إلا بعد أن مرت بمراحل عدة اختلفت في طولها وقصرها، وقوتها وضعفها. ومن تلك المراحل التي يمر بها التغير:

1 . مرحلة التحدي (مرحلة التشويش):

تمثل هذه المرحلة مرحلة الرفض وعدم القبول بل محاولات القضاء على كل مظاهر التغير الجديدة. ويمكن اعتبار هذه المرحلة مرحلة التشويش على صفة معينة يراد تغييرها في المجتمع، وكلما كان التغير الحاصل متصلاً بصفة من الصفات الثقافية المتأصلة والواقعة في نطاق العموميات الثقافية كانت المعارضة والمقاومة أشد وأقوى، وكلما ابتعد التغير عن المرتكزات الثقافية الرئيسة للأمة قلت المعارضة وضعفت. السبب وراء كل تلك المقاومة يرجأ إلى ناحية سيكولوجية تتصل بطبيعة الإنسان، ذلك أن الإنسان بطبيعته - خاصة في المجتمعات

الأكثر محافظة - يخاف من التغيير أياً كان شكله، بل يميل إلى المحافظة وإبقاء الأحوال والأشياء من حوله على حالها.

ذلك أن التغيير بالنسبة له يشكل تحدياً قد يستوجب امتلاك أدوات وأساليب للمجابهة وهو لا يمتلكها، لذا يميل ميلاً طبيعياً تلقائياً لمعارضة ومقاومة ذلك الجديد الوافد من أجل المحافظة على ما عنده من معطيات ثقافية. على سبيل المثال، عندما ظهر الإسلام لأول مرة كان المجتمع في شبه الجزيرة العربية جاهلياً، وكانت الممارسات الحياتية جميعها جاهلية، سواء أكان ذلك في النواحي الدينية، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية وغيرها. عارض القرشيون هذا الدين أيما معارضة بل حاولوا القضاء عليه في مهده. كانت ردة الفعل تلك نتيجة الخوف من هذه الدعوة الجديدة الغريبة وغير المألوفة، لكن بعد أن ثبتت القيم والمبادئ والتعاليم الإسلامية الجديدة، وشعر الجميع أنها لا تتعارض مع مصالحهم بل تنسجم معها دخل الجميع في هذا الدين أفراداً وجماعات.

في هذا الإطار، يرى فيلسوف العلوم كارل بوبر Karl Popper (4) أن مقاومة التغيير والتمرد عليه تمثل سمة من سمات الجماعات أو المجتمعات المغلقة كالجماعات القبلية أو جماعات المشعوذين أو المجتمعات الجماعية، بينما يكون التفاعل مع المتغيرات الجديدة والتكيف معها سمة ملازمة للمجتمعات (المفتوحة). والسبب في كل ذلك - في نظر بوبر - أن الإنسان في هذا الكون محكوم بقانونين رئيسيين في كل ما يقوم به من نشاط، أولهما القانون المعياري وثانيهما القانون الاجتماعي. القانون المعياري Natural Law هو قانون الطبيعة، بينما القانون الاجتماعي Social Law هو ذلك النوع من القوانين الذي يحكم حياة الإنسان الاجتماعية بما فيها من عادات وتقاليد وأعراف وغيرها.

قانون الطبيعة قانون مفروض لا يستطيع الإنسان تغييره، أما القانون الاجتماعي غير ثابت ويمكن للإنسان تغييره وتعديله. كلما كانت المجتمعات أكثر استعداداً لتغيير المعايير الاجتماعية الوضعية لتتناسب مع "الحرجية Criticality" التي يسببها وجود القانون الطبيعي جنباً إلى جنب إلى القانون الاجتماعي وما ينجم عن ذلك من صعوبات عملية حيث أن قوانين الطبيعة في كثير من الأحيان تعوق نشاطات الإنسان استطاعت الجماعات أن تخطوا خطوات كبيرة نحو التقدم. بمعنى آخر كلما استطاع الإنسان أن يتحايل على القانون الطبيعي المفروض لكي يحقق طموحاته، كان ذلك خطوة كبيرة تجاه التقدم. على سبيل المثال الإنسان في المناطق التي تعاني من شح المياه العذبة ومشكلة العطش، يمكنه أن يخترع من الوسائل ما يعينه على تحلية مياه البحر المالحة ويحولها إلى مياه عذبة للشرب والاستخدام الآدمي والحيواني.

2 . مرحلة الانتقال (مرحلة التجديد):

هذه هي المرحلة التي يتم فيها قبول التغيير أو الأفكار الجديدة. هي مرحلة حرجة من مراحل التغيير حيث تشتد فيها المواجهة والصراع بين أنصار الجديد وأولئك الذين يعارضون ذلك الجديد الوافد. فكل من الفريقين يحاول إبراز نقاط القوى والأسباب الوجيهة لتقبل الجديد من ناحية، أو لمعارضة الجديد من ناحية أخرى. مع مرور الزمن تتكشف ملاءمة الجديد الوافد مع المصلحة العامة لغالبية الناس، ومن ثم تبدأ تدريجياً عملية قبول هذا الجديد والتكيف معه مع محاولة تطويره وتطويعه لينسجم أكثر مع أوضاع المجتمع القائمة. المؤرخ البريطاني آرنولد توينبي Arnold Toynbee عندما حاول تفسير نشأة الحضارات وتحليل عوامل التقدم والتخلف في حضارات الشعوب، طرح سؤالاً هاماً: لماذا تولد الحضارة؟ وما هو العامل الذي يجعلها تتطور من مجتمع بدائي إلى حضارة؟ أو ما الذي يبعث حضارة وليدة من أخرى هرمة زائلة؟ ويخرج من تساؤله هذا بقانون اشتهر به، هو قانون التحدي والاستجابة. ويعني ذلك أن مدى قدرة المجتمعات على الاستجابة للتحديات من حولها ومن داخلها (الذي ينبعث بوجه خاص من "المبدعين" "والنخب") هو الذي يحدد قدرتها على ولوج الحضارة أو عجزها عنه(5).

3 . مرحلة التحويل (مرحلة الدفاع):

في هذه المرحلة تصل المعارضة والمقاومة للتغيير الجديد الوافد إلى أقل مستوياتها، وتظهر علامات واضحة من الضعف والاضمحلال. في ذات الوقت يأخذ الكثيرون من أفراد المجتمع وشرائحه بتبني هذه الأفكار أو الاكتشافات أو القيم الجديدة التي تغلغت في حياتهم ويتحول بعضهم الآخر من طرف المعارضة إلى طرف المؤيدين. هذا يحتم على النخب والقيادات التي تتبنى هذا الجديد المزيد من الإقناع للبقية الباقية من الناس تمهيداً لولوج مرحلة تحويل هذا الجديد الوافد إلى واقع ملموس يمشي على رجلين. لاشك أن هذه المرحلة تعتبر من أهم مراحل التغيير لأنها تتطلب من أنصار التغيير وقياداته امتلاك قدرات نوعية مميزة للدفاع المقنع عن وجهات نظرها ومبرراتها لهذا التغيير الطارئ على أوضاع المجتمع القائمة.

4 . مرحلة التطبيق (مرحلة الاستقرار أو التبني):

في هذه المرحلة يستقر التغيير بكل مظاهره ويصبح حقيقة عملية لا يختلف حولها كثير من الناس. سواء أكانت مظاهر هذا التغيير تأخذ شكل الاكتشاف أو الاختراع أو القيم أو المبادئ أو الأفكار، فإنها تستقر كعادة أو اكتشاف محدث أو نظام أو واقع معين لا جدل حوله، وتدرجياً تدخل هذه المظاهر - مادية كانت أم غير مادية - في نطاق الثقافة، وقد تصل إلى اللب الثقافي وتصبح من العموميات الثقافية التي يتعارف عليها ويعمل بها جميع أفراد المجتمع، مثل الدين واللغة.

تجدر الإشارة إلى أن مراحل التغيير قد تطول أو تقصر، وقد يكون من الصعب وضع فواصل حديدية محددة بين مراحل وأخرى، فهي جميعها تتسم بالتداخل والاندماج، كما وأنها تحتاج إلى وقت كبير نسبياً حتى تفرز نتائجها المتمثلة في الاختراعات أو الأفكار أو القيم وغيرها. مثال ذلك جهاز التلفاز الذي غير كثيراً من الوسائل والمفاهيم والقيم، بدأت فكرة اختراعه عام 1922م وظهر الى حيز الوجود عام 1934م أي أنه احتاج إلى اثنتي عشرة سنة ليصبح ظاهره واقعة، وهكذا هو الحال بالنسبة لمعظم المتغيرات المادية الثقافية.

نظريات التغيير:

تواترت النظريات التي حاولت تفسير عملية التغيير وأسباب حدوثها، ومن ثم أصبح يدين العلماء في ضوء تلك النظريات قياس التغيرات المختلفة التي تحدث في المجتمعات. من تلك النظريات:

1 - نظرية العبقرية:

هي من النظريات الكلاسيكية القديمة التي فسرت التغيير والظواهر المرتبطة به. تتلخص النظرية في أن التغيرات التي تطرأ على أحوال المجتمعات وثقافتها ترجع في المقام الأول إلى عبقرية بعض الرجال أو الأشخاص الذين يتمتعون بدرجة عالية من التميز والعبقرية والإبداع العقلي، الشيء الذي ينعكس بصفة جلية على أوضاع المجتمعات التي عاشوا فيها. استطاع هؤلاء العباقرة المبدعون في تعديل وتغيير المفاهيم والأفكار والتقاليد والعادات والأنماط السلوكية. من أمثال هؤلاء المصلحون والقادة العسكريون والسياسيون والعلماء وغيرهم.

في هذا الإطار، انتهى قسطنطين زريق من خلال أبحاثه في التخلف والتقدم والمستقبل العربي إلى أن مقياس التقدم يفترض دوماً شرطاً أساسياً وهو "إيمان الحضارة بالعقل لاكتشاف الحقيقة ولتحقيق الأغراض الإنسانية(6)". على أنه يفضل الحديث عن مقاييس التحضر ويرى أن أهمها ثمانية: "القدرة التقنية - والزخيرة العلمية الخالصة - والقيم الخلقية - والابتكار الفني والأدبي - والحرية الفكرية - ومدى انتشار القدرات والقيم في المجتمع - والنظم والمؤسسات السائدة وما تتضمنه من حريات وحقوق - والأشخاص الذين تتمثل القدرات والقيم في سيرهم وفعاليتهم"(7).

ويحاول من جديد أن يرد هذه المقاييس الثمانية إلى مقاييس رئيسة أعم وأشد أصالة تدور حول الإبداع كما يقول، فيري أنها ثلاثة: مقدار الإبداع - وتنوع أشكاله - ومدى انتشاره، ونوع الأشخاص الذين يتمثل بهم. كما يتبع طريقاً آخر في التحليل فيرد هذه المقاييس الثمانية إلى أصل واحد جامع: هو المقدار الذي أحرزه أبناء الحضارة وأحرزته الحضارة العامة.

2 - النظرية الحتمية:

في إطار هذه النظرية أن التغيير لازم وحتمي في كل المجتمعات عندما تتوافر العوامل والظروف والقوى المساعدة.

عندها يقع التغيير بصفة مقررة وموضوعة وجبرية. والحتمية التي وراء كل تغيير نوعان: حتمية تطورية وحتمية اقتصادية. فمن زاوية الحتمية التطورية أن كل شيء لا بد أن يتغير ويتطور، أي أن الساكن لا بد أن يتحرك، وفي الغالب إلى الأحسن والأفضل. من منظور الحتمية الاقتصادية أن التغيير لا محالة حادث وواقع نتيجة الضرورة الاقتصادية. مثال ذلك أن المجتمعات التي تكتشف فيها الثروات الطبيعية الهائلة والضخمة والتي بدورها تنعكس على تغيير الميزان الاقتصادي فيها لا بد أن تزدهر وتتطور.

3 - نظرية الانتخاب الطبيعي:

استحوذت هذه النظرية أفكارها من نظرية العالم الإنجليزي شارلس دارون Charles Darwin (1809-1882م) في النشوء والتطور والقائلة بأن لبعض السلالات أو الكائنات من الصفات ما يجعلها أكثر مواءمة لظروف البيئة المحيطة بها والتي تعيش فيها. وهذه الكائنات هي التي تتفوق على غيرها في التنافس على البقاء. وهذا ما أشار إليه دارون Darwin "بالبقاء للأصلح". معنى ذلك أن التطور يحدث نتيجة للاختيار الطبيعي. أي أن التغيير في الأنواع يحدث بانقراض الأفراد الضعيفة والتي لا تتلاءم والتي تعيش فيها. وبذلك تنقرض ولا تورث صفاتها(8).

في هذا الإطار الدارويني، يرى أنصار هذه النظرية أن التغيير يحدث عن طريق عمليات الاختيار ومبدأ البقاء للأقوى والأفضل في كل الأمور الاجتماعية والبيولوجية والسلوكية وغيرها(9).

4 - نظرية التغيير الدائري:

تنطلق هذه النظرية في تفسير ظاهرة التغيير من أن التغيير في سائر المجتمعات عبر العصور سار في مسارات أشبه بمسار الطبيعة وسننها الكونية من حيث عمومها ودوامها، ذلك أن المجتمعات تتطور وتزدهر وتبلغ شأواً كبيراً من الحضارة والرقى، لكن ما تلبث أن تعثرها مظاهر الخور والضعف والاضمحلال حتى تتحد وتندثر. ولعل العلامة ابن خلدون قد لخص هذه الفكرة عندما رأى أن الممالك والحضارات تشبه الإنسان في دورتها. فهي تبدأ قوية فتية في شبابها ثم ما تلبث أن يئتابها الضعف في مرحلة شيخوختها، مما ينتج عن ذلك تنوع وتغيير في الأحوال والأحداث المصاحبة لأنماط جديدة من الاجتماع البشري وتعاقب الحضارات والعمران(10).

5 - نظريات التخلف الاقتصادي والاجتماعي:

تقوم فكرة هذه النظرية على الافتراض المتمثل في أن التخلف وعوامله المادية وغير المادية، بالإضافة إلى عدم قدرة المجتمعات على الإنتاج كما ونوعاً وبالتالي عدم القدرة على توفير السلع الضرورية، إلى جانب عوامل التخلف المرتبطة بالحياة الثقافية والاجتماعية في المجتمعات، تؤدي إلى خلق الظروف التي تجعل من التغيير نتيجة حتمية ولازمة، وعندها ينتج عن كل ذلك تغيير في النظم والقيم والأنماط السلوكية وبهذا يتغير المجتمع.

في الجانب الاقتصادي، تعتبر اليابان خير مثال حيث أنها حتى نهاية الأربعينات من القرن المنصرم لم تكن تملك أدنى مقومات النهضة الصناعية والاقتصادية، وكانت كل الظروف المحيطة بها: السياسية والاقتصادية والطبيعية غير مواتية تماماً، لكنها رغم كل ذلك استطاعت أن تقف على رجليها وتمسك بزمام المبادرة والنهضة الاقتصادية والصناعية والتجارية. تمثل سر النجاح الياباني في الاهتمام منقطع النظير بالتعليم التقني المتقدم المدعوم بالبحث العلمي والاستعانة بالخبراء الكثرين في ميادين الصناعة والتصنيع الذين استقدموا من الغرب.

من الدروس المستفادة من التجربة اليابانية "أن مفتاح حضارة هذا العصر يكمن في الدور الرئيس الذي يؤديه التقدم العلمي والتكنولوجي في تحديد درجات تطور المجتمعات، فهو السر في عظمة ما وصلت إليه الدول المتقدمة، وهو العامل الحاسم وراء انتقال بعض الدول التي كانت تصنف إلى وقت قريب بأنها نامية، مثل تايوان وسنغافورة وكوريا الجنوبية، إلى عتبات الدول المتقدمة (11).

أما عن التخلف الثقافي في المجتمعات، فإنه يتمثل في عدم قدرة مجتمع ما أو جزء من مجتمع ما على استيعاب وتمثيل مظاهر التغيير التي تحدث في الجهات أو المجتمعات الأخرى. "إن الأجزاء المختلفة للثقافة الحديثة لا تتغير بنفس السرعة... وحيث أن هناك ارتباطاً واعتماداً متبادلاً بين هذه الأجزاء، فإن التغيير في جزء من ثقافتنا يتطلب تكيفات جديدة بأحداث تغييرات أخرى في مختلف أجزاء الثقافة المترابطة" (12).

هذا يعني أنه إذا حدث تغيير في جزء من أجزاء المجتمع الواحد، فإن بعض النواحي الأخرى التي ترتبط بهذه الناحية المتغيرة، لا بد لها أن تتغير أيضاً، فإذا لم تتغير تكون قد أصابها التخلف الثقافي (13). مثال ذلك أن المدن قد تنمو وعدد سكانها قد يزداد دون أن يصاحب ذلك تغيير في القوانين واللوائح ونظم الحكم والإدارة. كما يلحظ مثل هذا النوع من التخلف الثقافي في المجتمعات التي تقبل التغيير الاقتصادي والتكنولوجي الحديث دون أن يصاحب ذلك تغيير في النواحي الاجتماعية وفي المعتقدات والعادات والأفكار.

تأسيساً على كل هذا الذي ذكر، وحسب نظرية التخلف الاقتصادي والاجتماعي لا بد وأن تولد الدوافع والظروف التي تعزز التغيير نحو الأحسن والأفضل.

عوامل التغيير:

يمكن القول بأن هناك جملة من العوامل والقوى التي تتضافر وتتداخل حتى تفرز التغيير في المجتمعات. بعض من هذه العوامل يمكن وصفه بالعوامل النفسية الشخصية، أو البيئية المادية، والبعض الآخر يمكن أن ينسب إلى مؤثرات داخلية أو خارجية. من تلك العوامل:

1 - التقدم العلمي والنمو الفكري:

لا يختلف أثنان حول الأهمية القصوى التي توليها الدول المتقدمة للعلوم والبحث العلمي. "فقد أصبح التطور الكمي للعلم والتقنية غاية في حد ذاته، بصرف النظر عن الاعتبارات الإنسانية والأخلاقية. وبلغ الاستحسان في هذا التوجه أقصى مداه بعد الحرب العالمية الثانية، حيث أخذت الدول المتقدمة تتسابق في الإنفاق على صناعة العلم والتقنية باعتبارها صناعة ثقيلة، يعول عليها بصورة رئيسية في زيادة القدرات العسكرية والصناعية والاقتصادية" (14). وليس المستغرب إذن أن رصدت الولايات المتحدة الأمريكية في فترة من الفترات ميزانية للبحث العلمي فاقت ما رصدته مجتمعات العالم كلها لهذا الغرض. وأدى هذا بطبيعة الحال إلى أن تحتل الولايات المتحدة الأمريكية مكان الصدارة في ميادين البحث العلمي والتقني، لدرجة أنها استأثرت بكافة جوائز (نوبل) في ميادين الفيزياء والكيمياء والطب والفسولوجيا عام 1986م.

2 - التغيير في أسلوب الإنتاج:

مما لا شك فيه أن اختلاف الأساليب والطرائق في إنتاج السلع والاختلاف في استعمال الآلات يؤدي بدوره إلى اختلاف وتغير ملموس في طريقة العمل. كما أن استخدام الآلات أو (الماكينة) في الإنتاج يزيد من كمية الإنتاج مع الاقتصاد في الوقت والجهد المبذولين، وهذا بدوره ينعكس في شكل تغيير عام في مرافق الحياة المختلفة في المجتمع.

3 - التقدم في وسائل الاتصال والانتقال:

إن التقدم الهائل الذي طرأ على وسائل الاتصال والمواصلات في وقتنا الراهن كان له الأثر الأكبر في إحداث كثير من مظاهر التغيير على المستوى العالمي والإقليمي والمحلي. ومن أمثلة ذلك وسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة والمكتوبة وما صاحبها من بث مباشر عن طريق الأقمار الاصطناعية، إضافة إلى تقنيات الحاسوب وما يتصل به من ثورة معلوماتية ضخمة. كل هذه الظواهر الاتصالية والمعلوماتية والتقنية جعلت العالم الآن أشبه بالقرية الصغيرة.

4 - استغلال الثروات الطبيعية:

تختلف المجتمعات في حجم ونوع الثروات الطبيعية المتوفرة لديها، فهناك الثروات الزراعية بما فيها الأراضي الزراعية الخصبة الصالحة ومصادر المياه العذبة، وهناك الثروات المعدنية مثل البترول والفحم الحجري والحديد والذهب والنحاس وغيرها، إضافة إلى الثروات

الحيوانية والمائية والغابية وغيرها. إن الاستغلال لكل هذه الثروات لاشك أنه ينعكس على شكل تغير نوعي ملحوظ في حياة الناس في مختلف نواحيها، حيث أن التنمية الاقتصادية لهذه الثروات ما هي إلا "عملية شاملة تهدف إلى إحداث تغير حضاري يزيد من قدرة المجتمع الذاتية على الاستجابة لإشباع الحاجات الأساسية: المادية والفكرية والروحية والإبداعية المتجددة لكل من الفرد والمجتمع على السواء" (15).

5 - ظهور القادة والمفكرين والمصلحين:

إن من عوامل التغير الفاعلة في أي مجتمع وجود أو ظهور تلك النخب المتميزة والقادرة على التغيير وإدارته، تلك النخب في المجالات الثقافية المختلفة في المجتمع. فمهما يكون شأن الأفراد في بناء مجتمعاتهم وحضاراتهم، إلا أن (المبادرة في الإنشاء الحضاري لا تأتي من الجماهير بل من النخبة" (16). ذلك أن "قدرة المجتمع على التقدم لا يحددها في النهاية مجرد المستوى الثقافي العام للجماهير والوضع التعليمي الشامل للسكان، بل يحددها فوق ذلك ومن قبل ذلك، ما يتوفر في ذلك المجتمع من نخبة ممتازة، في شتى ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية والسياسية وسواها. فأفراد النخبة هؤلاء يعبرون أولاً عن مدى عمق المستوى الحضاري الذي بلغه بلد معين، وعن مقدار شأوه وسموه. وهم بعد ذلك (الخماثر) الحية الفعالة التي تحرك المجتمع وتحببه، والتي تطلق حركة تكوين المستويات التالية لها والمتتالية بعد ذلك، من القيادات والاختصاصات في شتى المجالات" (17).

6 - الثورات:

المنتبع لتاريخ البشرية عبر العصور يلحظ بكل وضوح الأثر الكبير الهائل الذي تخلفه الثورات الكبرى في حياة الأمم والشعوب. فالثورات التي حدثت وتحدثت في البلاد المختلفة تعتبر وسيلة هامة في إحداث التغير الشامل والسريع والتحويلات الكبرى في أفكار ومفاهيم ومؤسسات وأساليب وأنماط الحياة عند الشعوب، الشيء الذي ينتج عنه تحي وتلاشي النظم والأساليب القديمة وإبدالها بنظم أخرى تختلف اختلافاً جذرياً وجوهرياً.

ومن أمثلة ذلك في أوروبا وأمريكا خلال القرن التاسع عشر الميلادي أن "حدثت ثورتان سياسيتان واجتماعيتان بارزتان هما الثورة الفرنسية والثورة الأمريكية اللتان لهما تأثيرهما البالغ لا في الحياة الفرنسية والحياة الأمريكية فحسب، ولكن في كافة أرجاء الحياة الغربية ... ومن نتائج الثورة الفرنسية والأمريكية أن بدأت تخف وطأة الإقطاع والطبقية والاستبداد السياسي وبدأ الاهتمام بإصلاح أحوال العامة عن طريق تعليمهم وبدأت تظهر بوادر الحياة الديمقراطية الحديثة" (17).

7 - الحروب:

الحروب بكافة أشكالها وأنواعها قديماً وحديثاً، وبغض النظر عن ساحتها وأسباب اندلاعها والمآسي الإنسانية التي تخلفها، تمثل عاملاً مهماً من عوامل التغيير في كثير من أشكاله ومظاهره، حيث تعطي الغلبة للمنتصر على حساب المهزوم، وبالتالي يفرض المنتصر سيطرته وثقافته وحضارته على المهزوم. فمن خلال الاتصال والتلاحق - طوعاً أو كرهاً - بين ثقافة المنتصر وثقافة المهزوم يحدث التغيير الثقافي التدريجي ويرمي بظلاله على كافة مناحي الحياة. على سبيل المثال الحروب وما صاحبها من صراع سياسي وعقائدي واقتصادي منذ أواخر الثلاثينات من القرن المنصرم بين النظم السياسية الديمقراطية والنظم الدكتاتورية كالنظام الفاشي الإيطالي والنازي الألماني مثلاً، وبين النظم الرأسمالية والنظم الاشتراكية والشيوعية كان لها تأثيرها البالغ في كافة جوانب الحياة الأوروبية والأمريكية، مما أدى إلى ظهور صور جديدة من أشكال التغيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

مظاهر التغيير:

إن التغيير الذي يطرأ على المجتمعات - أياً كان أسبابه وعوامله - يحدث تغييراً نوعياً ملحوظاً في حياة الأفراد ذلك يمكن إرجاعه إلى درجة تفاعل الأفراد في المجتمع مع أشكال التغيير التي طرأت على واقعهم الاجتماعي والثقافي، الشيء الذي يولد تدريجياً بعض المظاهرات التي ماهي إلا نتائج وآثار للتغيير الذي حدث. إن عوامل التغيير ترتبط إلى حد كبير ارتباطاً وثيقاً بدور الأفراد الجماعات ومراكزهم ومراتبهم والمؤسسات التي يعملون فيها، ومن ثم استجاباتهم وتفاعلاتهم مع التغيير الحاصل بأشكال ومظاهر مختلفة يمكن ملاحظتها الحكم على مدى تطور وتقدم المجتمع. ومن أمثلة مظاهر التغيير تلك:

1 - التقدم العلمي والصناعي:

أدى إلى التقدم العلمي والمادي والصناعي في العالم بصفة عامة وما صاحب ذلك من تطبيقات للأبحاث والدراسات العلمية في المجالات الحياتية المختلفة إلى الرخاء والتحسين الواضح في مستوى الحياة العامة. على سبيل المثال أحدثت الثورة الصناعية وما صاحبها من ثورة علمية في الغرب تحولات كبرى في الحياة بصفة عامة هناك. "ومن هذه التغييرات اتساع دائرة الطبقة المتوسطة، واتساع المدن، الهجرة الواسعة إلى المدن، واتساع قطاع العمال وزيادة الاهتمام برفاهية أسرهم، واتساع نطاق التجارة العالمية، وحدث شيء من التوازن بين الزراعة والصناعة، وزيادة الطلب على المهارات الفنية والتكنولوجية، وزيادة الاهتمام بعامة الشعب وبالوصول على تأييدهم للدولة وزيادة الشعور الوطني داخل كل دولة ... وإعداد المواطن الذي يؤمن بوطنه ويحارب من أجله".

2 - الحياة الأسرية:

انعكست مظاهر التغير أيضاً في مجال الأسرة من حيث حجمها ومستواها التعليمي والمادي الاجتماعي وغيره، كما انعكس ذلك على وضع المرأة في المجتمع وحقوقها في التعليم والعمل والمشاركة في العمل العام.

3 - الهجرة بين المدن والريف:

التغير الذي طرأ في مجال الصناعة وعلاقات الإنتاج الجديدة ونمو المدن وسهولة النقل والمواصلات أدى إلى الهجرة المتبادلة بين المدن والمناطق، الشيء الذي أدى إلى المزيد من الحراك الاجتماعي والثقافي. بوجه عام طرأ كثير من التغير للأحسن في أدوار ووظائف مؤسسات المجتمع المدني.

لكن على الرغم من كل هذه المظاهر الإيجابية للتغير في المجتمعات إلا أننا نلاحظ بعض المظاهر والإفرازات غير الإيجابية التي صاحبت أشكال التغير، ومن أمثلة سيطرة المادية الصارخة في حياة الأفراد، التفكك الأسري، القلق عند الشباب، إهمال النواحي الروحية والدينية، هذا بالإضافة إلى تفشي روح الأنانية والفردية علاوة على ظهور العديد من المشكلات الاجتماعية مثل الجريمة، تشرذم الأحداث، الجنوح، البطالة، إنشار الطلاق، وازدياد موجة العنف.

التربية والتغير الاجتماعي والثقافي:

التربية في معناها العام والواسع تمثل محاولة لترقية وتعديل السلوك البشري بدرجة تتوافق مع البيئة التي يعيش فيها الإنسان، البيئة بشقيها الطبيعي والاجتماعي". معنى هذا أن التربية تعني بالسلوك الإنساني وتنميته وتطويره وتغييره. أي أن هدفها أن تنقل إلى أفراد الجيل الجديد المهارات والمعتقدات والاتجاهات وأنماط السلوك المختلفة التي تجعل منهم مواطنين صالحين في مجتمعهم متكيفين مع الجماعة التي يعيشون بينها. أي أن التربية عملية تعليم وتعلم لأنماط متوقعة من السلوك الإنساني" (18).

من هذا المنظور، تعتبر التربية وسيلة هامة وأداة للمجتمع في توجيه عمليات التغير الاجتماعي والثقافي، وفي عقلنة هذا التغير من خلال إكساب الأفراد الفهم والوعي الكافيين بأبعاد التغير الثقافي ومدى موافقته وملاءمته مع واقع المجتمع وأهدافه وتطلعاته المختلفة.

في إطار مفهوم التغير وأسبابه والنظريات التي تفسر حدوثه، يمكن القول أن التربية والمحافظة عليه وتنقيته وتطهيره وتحديثه. كما تقوم التربية بنفس الدور والوظيفة إزاء التغير الاجتماعي، ولكنها في نفس الوقت لا تتوقف عن إحداث التغيرات والملائمة في بنيتها وطرائقها وأساليبها، وضعةً في الاعتبار أن العلاقة بين التربية من ناحية والمجتمع وماله من ثقافته من ناحية أخرى تعتبر علاقة جدلية، أي أن لكل من الطرفين أثره في تطور الآخر.

خاتمة :

السؤال الملح الذي يطرح نفسه بصرامه هو: كيف يتسنى للتربية - في مؤسساتها المختلفة - إحداث التغير الاجتماعي والثقافي الإيجابي في المجتمع القائم الذي تخدمه؟. في سبل ذلك التغير المنشود، يمكن القول إذا كان للتربية أن تلعب دوراً فاعلاً في إدارة التغير وتوجهه لصالح المجتمع، فلا بد لها في المقابل أن تعدل في فلسفتها وأهدافها ومناهجها ووسائلها بالكف والمناسبين في ظل الاعتبارات التالية:

1 - بناء قاعدة فكرية مناسبة لإحداث وتفضيل التغير:

ذلك يعني أن من أول أولويات التربية بناء العقلية المناسبة التي تقيم أسس فكرية واضحة ومدرسة، العقلية التي تطرح معنى التقدم وسبل الوصول إليه. التربية بلا شك تعتبر الأداة الأمثل لذلك. فهي التي تمهد الطريق للتغير الاجتماعي والثقافي، ومن أحد وظائفها الابتكارية أن تشجع الاتجاهات الناقدة وتعد الناشئة للتغيير، ومن خلال ذلك تهئ المجتمع لتقبل الجديد، ومن ثم يتبناه في منظومة قيمه الاجتماعية. لكي تضطلع التربية بهذا الدور، لا بد أن تنتهج التربية منهج الديمقراطية والشورى كفكرة مثالية لتنظيم الحياة على منهج التوازن بين الحياة والحرية، وهي طريقة للجهد الموجه نحو تطبيق المبادئ في مسارات عملية، بقدر يكون فيه إرضاء الأغلبية واضحاً. الديمقراطية والشورى ليست فقط فكرة سياسية للحكم بل إنها بالدرجة الأولى صيغة مترابطة لحياة الفرد في نواحيها المختلفة السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية وتطلق العنان لمواهبه وقدراته وإمكاناته حتى يكون الإرادة لإحداث التغير في المجتمع الذي يعيش فيه، ويكون في ذات الوقت مستعداً للتوافق والتناغم مع ذلك التغير وما يدخل من أشكال وأنماط جديدة غير مألوفة في الحياة.

2 - تنمية القيم والاتجاهات الإيجابية اللازمة لإحداث التغير:

حتى تتحول الأفكار والكلمات إلى أعمال وأفعال محسوسة وملموسة في واقع الحياة، يتعين على التربية من خلال مؤسساتها وعبر إجراءاتها ووسائلها تأصيل القيم والاتجاهات التي من شأنها تحفيز وشحذ الهمم لإحداث المفيد من التغير، ومن أمثلة ذلك قيم العمل والعمل اليدوي وحب العمل، إتقان العمل، احترام الوقت والزمن وحسن إرادته، تقدير مساهمات الآخرين، حب العلم والبحث العلمي، الإيمان بثقافة الحوار كأسلوب لحل المشكلات، توخي نتائج البحث العلمي وجعلها قاعدة لصنع القرار مع تأصيل قيم الانتماء والاعتزاز بالوطن.

3 - التعريف المنهجي بالتغير وأبعاده:

ليس للتغير شكل أو نمط واحد، بل هو يتخذ أشكالاً مختلفة وأبعاداً متباينة يظهر أثرها أحياناً على الجوانب المادية في حياة الناس، أي ثقافتهم المادية، وأحياناً على جوانب ثقافتهم غير

المادية مثل القيم والمعايير والإتجاهات السائدة، كما وأن التغيير تظهر آثاره بوضوح على المؤسسات والنظم الاجتماعية والثقافية أحياناً أخرى.

هذا كله يلقي على المؤسسات التربوية المختلفة مسئولية بيان الآثار والتداعيات الايجابية والسلبية للتغيير عندما يقع، بمعنى آخر أن على التربية أن توفر المعرفة الكافية التي تعين الأفراد على التنبؤ بنوع وشكل التغيير وما يمكن أن تكون له من آثار ونتائج ومضاعفات على حياة الأفراد.

4 - تكوين العقلية الشاملة:

إننا نعيش الآن في عصر سمته الضاربة التغيير الجذري السريع الذي لم يعرف له التاريخ مثيلاً، والذي شمل شتى ميادين الحياة. بلغت معدلات سرعة هذا التغيير مبلغاً نستطيع أن نقول معه أن الإنسان اليوم يصبح ليجد نفسه أمام عالم غير الذي نام عنه بالأمس.

هذا العالم المتغير السريع بلا شك يلقي على التربية ومؤسساتها مسؤوليات جسام في التكيف والتوافق المدرس مع كل المتغيرات. على التربية أن تعمل إذن لإيجاد الإنسان الموسوعي، الإنسان ذي الاهتمامات والمواهب المتعددة، الإنسان الذي لا يكتفي بتخصصه فقط بل ينظر لهذا التخصص في ضوء ارتباطاته بسائر الفروع والتخصصات الأخرى مع توظيف هذا التخصص لخدمة واقع الحياة الاجتماعية والثقافية الجديدة.

5 - تنمية التفكير الإبداعي وطرائقه:

الإنسان لكي يتحول من دائرة الاستهلاك إلى دائرة الإنتاج، عليه أن يحرر نفسه من أنماط التفكير التقليدية المحافظة. التفكير التقليدي المحافظ الذي يراوح مكانه حول المشكلة ويحاول إيجاد المبررات والمسوغات للتكيف معها لا يخدم قضايا التغيير الفاعل في المجتمعات ولا سيما مجتمعاتنا العربية والإسلامية. التفكير الإبداعي أو الذكاء المباعد Divergent كما يحلو للبعض أن يسميه - هو وحده الجدير بإيجاد الطرائق والدروب والعوالم الجديدة وارتداد الآفاق والرؤى البعيدة. التفكير الإبداعي الذي يجيب على التربية من الواقع والحاجة لتغيير ذلك الواقع بما يتلاءم مع حياة الناس في واقع آخر أفضل وأحسن.

6 - التكامل بين الأصالة والمعاصرة:

طلب التغيير لا يعني التناكر للتراث الثقافي والحضاري، بل يعني ترقية وتطوير ذلك التراث من خلال التعرف على النقص والثغرات الموجودة من التراث أولاً، ثم بعد ذلك محاولة استكمالها ودعمها من خلال الاستعارة والاقتباس من خبرات الآخرين المختلفة بالقدر الذي لا يتعارض مع المرتكزات والثوابت الرئيسية المبدئية والعقدية وغيرها. في ذات الوقت هذا لا يمنع من أن تقدم الثقافة المستفيدة خير ما عندها للآخرين. هكذا يتم التكامل الواعي بين الأصالة والمعاصرة من ناحية، وبين ماضي الأمة وحاضرها من ناحية أخرى دون أن تفقد الأمة من

سيادتها وهويتها الثقافية والحضارية. ليس عيباً أن يستعير الإنسان من خبرات غيره، ولكن العيب أن يحجم عن ذلك، مثله في ذلك مثل النباتات والثمار التي لا تعطي أجود الثمار إلا من خلال عمليات التهجين والتحسين والتطعيم.

من هذا المنطق، ولتعزيز هويتنا العربية والإسلامية لابد أن نطلق لثقافتنا العنان للانفتاح الواعي على كل ما في العالم من معارف وخبرات حتى تتخير أحسن ما فيها، وفي ذات الوقت لابد من ربط حاضرنا الثقافي العربي الإسلامي بكل جذور الماضي وإنجازات الماضي حتى نكون أكثر قدرة على مواجهة كافة تحديات التغيير وسرعة هذا العصر من حولنا.

الهوامش والمراجع

1. النجحي، محمد لبيب، الأسس الاجتماعية للتربية، بيروت: دار النهضة العربية، 1991م، ص 180.
2. Kilpatrick, W.H. Philosophy of Education. New York: Mac Millan Co., 1956, P. 79
3. Kluckhon, c& Kelley, W. (The Concept of Culture) in linton, R., (ed). The science of Man in the World crisis. New York Univ. Press, 1945, P. 97
4. أنظر فكرة (الثنائية الحرجة) Critical Dualism في: Popper, K., The Open Society and its Ememies, vol."1". Padstow: T.J.Press. U.K., 1966, PP.57-85
5. زريق قسطنطين، مطالب المستقبل العربي: هموم وتساؤلات، بيروت: دار العلم للملايين، 1983، ص 152.
6. زريق قسطنطين، في معركة الحضارة: دراسة في ماهية الحضارة وأحوالها وفي الواقع الحضاري، ط4، بيروت: دار العلم للملايين، 1981، ص 266.
7. المصدر السابق، ص 278.
8. عبد العال، حسن، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، الرياض: دار عالم الكتب والنشر والتوزيع، 1985، ص 43.
9. هيربرت سبنسر Herbert Spencer (1820 - 1903م) مربي إنجليزي يعتبر من أكثر المؤيدين لنظرية شارلس دارون Darwin في النشوء والتطور. من مؤسسي المذهب الموضوعي. كان أول من فسّر النظرية التطورية تفسيراً علمياً وطبقها على علم الاجتماع. في عام 1852م نشر مقالته الشهيرة (فرضية التقدم) التي طرح فيها نظرية التطور العضوي بعد أن أدرك بأن فكرة التطور تكمن في الصراع من أجل البقاء. من

- أبرز مؤلفاته (فرضية التقدم) 1852م، (مبادئ علم الاجتماع) 1874م، (مذهب الفلسفة التركيبية) 1862م، 1896م. كان سبنسر أول من طبق نظرية التطور على المجتمع البشري، بعد أن طبقها سارتر على الطبيعة.
10. ابن خلدون، عبد الرحمن: هو العلامة العربي عبد الرحمن بن خلدون (732هـ/808هـ) صاحب المؤلف المعروف (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر
11. القصير، توفيق أحمد، "الأمة وقضية الأمة". رسالة الخليج العربي، العدد 37، السنة الحادية عشر، 1411هـ، ص 2.
12. Ogburn, W.F., Social Change, New York: Huebeck, 1922, PP. 200-201.
13. وليام أوجبرن William Ogburn هو صاحب النظرية التي عرفت بنظرية التخلف الثقافي Cultural lag، والتي تتلخص في أن عناصر الثقافة تتغير بنسب متفاوتة، فالعناصر المادية في التراث الثقافي تتغير بسرعة أكبر من العناصر المعنوية، واعتبر أوجبرن العناصر المادية (متغيراً مستقلاً) بينما العناصر المعنوية (متغيراً تابعاً). للمزيد من التفاصيل حول النظرية يمكن الرجوع إلى: Ogburn, W.F. Social Change, New York: Huebeck, 1922.
14. باشا، أحمد فؤاد، (إشكالية التحيز في تاريخ العلم والتقنية) في: عبد الوهاب المسيري (محرر): إشكالية التحيز، القاهرة: المعهد العلمي للفكر الإسلامي ونقابة المهندسين، 1995م، ص 384.
15. أبو العينين، علي خليل، التربية الإسلامية وتنمية المجتمع المسلم، الركائز والمضامين، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم حليبي، 1987م، ص 15.
16. زريق قسطنطين، المرجع السابق، ص 203.
17. عبد الدائم، عبد الله. نحو فلسفة تربوية عربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991م، ص 255.
18. الشيباني، عمر محمد التومي، تطور الأفكار والنظريات التربوية، بيروت: دار الثقافة، 1975م، ص 306.
19. المرجع السابق، ص 208.
20. النجيجي، محمد لييب، المرجع السابق، ص 13.